

رسالة مفتوحة إلى الجندي الجزائري

محمد سرور زين العابدين

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

مقدمة

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فهذه رسالة كتبها للجندي الجزائري مهما كانت رتبته العسكرية ومكانته القيادية... كتبها لأبين له حدود الطاعة وعلاقتها بعبودية الله جل وعلا، وأردت من وراء ذلك إمطة اللثام عن حقيقة الجنرالات الذين يتولون قيادة جيش الجزائر وقوات أمنها، وبيان فسادهم وظلمهم وإجرامهم، وفساد الأنظمة والقوانين العسكرية، وحرمة إراقة دم المسلم بغير حق، وحرصت على تبسيط الأدلة لأن ثقافة الجندي محدودة، ومعلوماته الشرعية متواضعة.

وإنه وإن كانت مناسبة كتابة هذه الرسالة أحداث الجزائر، والانقلاب الذي دبره جنرالات مجلس الرئاسة، وتنكيلهم بالعلماء والدعاة الأحرار... مع ذلك فالمخاطب بهذه الرسالة كل جندي في عالمنا الإسلامي، لأن المشكلة واحدة، وما فعله هذه الجندي الجزائري فعله إخوان له من قبل في كل مكان، ولم يتردد هؤلاء الجند عندما صدرت إليهم الأوامر في قتل العلماء والدعاة والتمثيل بهم، وهدم المساجد، وتدمير المدن والأحياء، واستخدام مختلف الأسلحة الفتاكة.

وفي حدود اطلاعي لا أعرف أن هذا الموضوع قد طرح بشكل جاد في أوساط الإسلاميين، وعلى نقيض ذلك ما يزال البعض يوافق لهؤلاء الجند ويتودد إليهم رغم كل ما فعلوه وما يزالون يفعلونه... نعم لا يزال هذا البعض يعتبر مسألة الجيوش من الأشياء التي لا ينبغي التعرض لها بنقد أو تجريح، وإذا كتب عن جيش بلده نعته بالشجاعة والإيمان والبسالة، وهو يخفي في قلبه خلاف ذلك، ولا أدري كيف نجتمع بين ما تفعله هذه الجيوش بنا وبين مدح بعضنا لها؟!

ولا نستطيع تعميم حكمنا على كل جندي، فمن هؤلاء الجند من يقدم طاعة الله على كل طاعة، ويرفض مطاردة الدعاة والتنكيل بهم ولو قاده تبعات هذا الموقف إلى السجن أو القتل... ومن هؤلاء الأخيار ومن وجه رصاصة إلى نحور الطغاة، وآثر الموت على الحياة... ومنهم من لم يتردد في الاستقالة والتخلي عن هذه الوظيفة عندما أصبح عمله يتعارض مع ما أوجبه الله عليه، نعتذر إلى هؤلاء الجند، ونسأل الله أن يثيبهم على ابتلائهم أحسن الثواب، ويبارك عددهم، ويبدلهم من بعد خوفهم أمناً.

وبهذه المناسبة فإننا نعلن لقرائنا الكرام وخاصة العلماء وطلاب العلم منهم أننا عزمنا على فتح ملف هذه الجيوش ودورها السلبي في عالمنا الإسلامي ونطلب من كل قادر أن يقدم إلينا ما عنده من معلومات أو يرسل إلينا ما يتوفر عنده من أشرطة

(كاسيت) حول ما يحل وما يحرم من هذه الوظائف والأنظمة والقوانين العسكرية، والله أسأل أن يتولى أمر هذه الأمة قادة أفاض أمثال: خالد بن الوليد، وقتيبة بن مسلم، وطارق بن زياد، وصلاح الدين الأيوبي، إنه على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين.

رسالة مفتوحة إلى الجندي الجزائري

هل تعلم أيها الجندي أنك تنتسب لأمة أذاقت العدو الفرنسي الصليبي كؤوساً من الذل والقهر والهوان، وأرغمته على الخروج من بلد كان يعتقد أنه لا يتجزأ من فرنسا العظمى.

وهل تعلم أيها الجندي أن آباءك وأجدادك، رفضوا الدينية في دينهم، واستوطنوا الغابات وقمم الجبال الشاهقة في الأوراس ووهران، وجرجرة، والونشريس، وغيرها وغيرهما، وزهدوا في المدن وسكنى الأحياء الراقية، وآثروا الموت على الحياة، والجهاد على الرضوخ والاستسلام لعدو دخيل.

وهل تعلم أن العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه يفتخر ويعتز بجهاد شعب الجزائر، ويتخذ منكم مثلاً وقدوة في الشموخ والصبر والصمود.

وهل تعلم أن علماء الجزائر ودعاتها هم الأبطال الذين حفظ الله بهم دين الأمة ولغتها العربية، وهم الرجال الأشاوس الذين رفعوا راية الجهاد في سبيل الله، ورفضوا سياسة التفرنس... وهذه حقيقة لا ينكرها منصف يعرف تاريخ الجزائر وجهاد شعب الجزائر، ولم يكن جهاد العلماء والدعاة قاصراً على مرحلة دون مرحلة

أخرى، وإنما كان حلقة متسلسلة بدأت في عام ١٨٣٠ واستمرت حتى عام ١٩٦٢م.

وهل تعلم أن جمعية العلماء المسلمين كانت أظهر وأنقى صفحة في تاريخ الجزائر. لقد رفضوا عقائد وقوانين وعادات الفرنسيين، وكانوا يُدرسون أبناء الأمة العلوم الإسلامية بلسان عربي مبين يوم كان النطق بالعربية جريمة لا تغتفر عند المستعمرين وعملائهم.

وهل تعلم أيها الجندي أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ امتداد لجمعية العلماء، فكبار السن من قادتها كانوا أعضاء في جمعية العلماء، والآخرون كانوا تلامذة للشيخ عبد اللطيف سلطاني وغيره من شيوخ الجمعية.

وهل تعلم أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ تقدمت بمشروعها الإسلامي من أجل إنقاذ الجزائر من الفساد والرشوة والظلم، ومن أجل تحكيم شريعة الله في بلد جاهد مائة وثلاثين عاماً من أجل تحكيم شريعة الله، ولهذا فقد نالت الجبهة الإسلامية تأييد الشعب بشكل لم يعرفه العالم الإسلامي في العصر الحديث.

وهل تعلم أيها الجندي الجزائري أن العلمانيين على مختلف أحزابهم واتجاهاتهم كانوا عملاء لفرنسا: يرطنون بلغتها، ويحملون أفكار وعقائد فلاسفتها وكبار السياسيين فيها، فالشيوعيون كانوا فرعاً من فروع الحزب الشيوعي الفرنسي، وآخرون من الزعماء الذين ذاع صيتهم كانوا جنوداً يقاتلون في الحرب العالمية الثانية أعداء فرنسا، ومذكرات هؤلاء الزعماء خير شاهد على ماضيهم وعلى نضالهم المزعوم.

وعندما كان بعض هؤلاء الزعماء ينكرون انتماء الجزائر للأمة الإسلامية كان العلامة ابن باديس يتصدى لهم قائلاً:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

وهل تعلم أيها الجندي أن كبار المسؤولين وأصحاب القرار في كثير من الحكومات المتعاقبة يتمسكون باللغة الفرنسية، ويحاربون تعليم اللغة العربية، وليس أمر هؤلاء قاصراً على مطالبتهم أن تكون الفرنسية لغة الدولة، وإنما هم يعشقون كل ما يأتي من فرنسا سواء كان دستوراً أو افكاراً أو لباساً، ويكرهون ويزدرون كل ما يمت إلى الإسلام بصلة.

وهل تعلم أيها الجندي أخبار الجنرالات وفضائحهم؟!

فالجنرال عطايلة عدو الإسلام والمسلمين واحد أقوى جنرالات الجيش في عهدي بومدين والشاذلي، يحقق معه القضاء الجزائري في كثير من الاختلاسات التي اختلسها وفي مقدمتها (معهد باستور) الذي توقف العمل فيه عام ١٩٨٥م، وكلف الدولة ٢, ١ بليون فرنسك فرنسي.

اذهب أيها الجندي إلى المستشفى العسكري في العاصمة، واسأل عن الجنرال بوذراع الذي يقبع في غرفة من غرف هذا المستشفى... سيقول لك الطبيب المسؤول عن علاجه: لا أستطيع الدخول إلى غرفته إلا بشق الأنفس بسبب الروائح الخائفة التي تنبعث من جسمه والتي لا نجد لها علاجاً.

هذا الطاغية أحد كبار المسؤولين عن مجزرة عام ١٩٨٨م، وماكان يكتفي بإصدار الأوامر للجنود، بل كان يحدد برصاصه خيرة شباب الجزائر.. انظر - أيها الجندي - كيف انتقم الله منه وقارن بين الجنرال بوذراع الطاغية المتجبر، وبوذراع الذي لا حول له ولا قوة.

واللواء مصطفى بلوصيف الأمين العام السابق لوزارة الدفاع الوطني هو الآن نزيل السجن الاحتياطي بتهمة الاختلاس.

وهل وصلتك أيها الجندي أنباء الاتهامات المتبادلة بين الجنرال ابن جديد، وابن بلا وكل منهما يقول للآخر:

أنت اختلست ملايين الدولارات!!

وهل علمت بمصير أموال جبهة التحرير قبل استقلال الجزائر والاتهامات المتبادلة بين من سهاهم التاريخ المزيف: القادة التاريخيون.

وهل جاءتك أخبار بطانة بومدين مثل (بوتفليقة) وغيره وغيره وبطانة الجنرال ابن جديد مثل إخوته وأصهاره.

أيها الجندي إذا كنت قد تابعت هذه الأخبار – وهي لست سرّاً من الأسرار – تكون قد علمت من الذين سرقوا (٢٦ مليار دولاراً) وهي التي تحدث عنها عدد من كبار المسؤولين من بينهم رئيس الوزراء السابق عبد الحميد الإبراهيمي، وتكون قد علمت أسباب محنة الجزائر، وأسباب الأزمات الاقتصادية الخانقة التي تهدد مستقبل هذا البلد رغم الخيرات الكثيرة التي أودعها الله في أرضه، ويصدق في قادة الحكومات المتعاقبة قول الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمى والماء فوق ظهورها محمول

ولا تنتظر أيها الجندي من الجنرال خالد نزار أن يحاكم قادته وأسياده، فهم الذين تولوا تربيته وإعداده بعد رحيل فرنسا، واللص أعجز وأضعف من أن يحاكم لصاً مثله، وما هذه الضجة التي تثار بين فترة وأخرى إلا لذر الرماد في العيون، وامتصاص النقمة الشعبية، ثم يحتفظون بالملفات بسبب فقدان الأدلة الكافية، أو يكتفون بمحاكمة الضعفاء الذين ليس لهم أنصار ولا أعوان.

أيها الجندي: إن كفر جنرالات مجلس الرئاسة لا يشك بها عالم منصف، وليعد من شاء إلى ما ذكره علماءنا عن نواقض الإسلام:

ومنها: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ المائدة: ٥١.

ومنها: من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباعه صلى الله عليه وسلم وأنه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام فهو كافر.

ومنها: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ السجدة: ٢٢.

ومنها: من اعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه فهو كافر.

وقال العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز: (ويدخل في القسم الرابع من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى، ويدخل في الرابع أيضاً من يرى أن نفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين) (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: ١/ ١٣٨).

وجميع هذه النواقض التي ذكرناها تنطبق عليهم: فهم يوالون أعداء الله ويشنون حرباً لا هوادة فيها على أولياء الله، وإعراضهم عن دين الله واضح لكل ذي بصيرة، ومن جهة أخرى فقد استخدموا كل ما يملكون من قوة وسلاح من أجل أن لا يحتكم الناس في الجزائر إلى شريعة الإسلام ومن اتهاماتهم لقادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ

أنهم يريدون الحكم أو يريدون تسييس الإسلام، ويصرحون في كل مناسبة أن الإسلام لا علاقة له بالحكم والسياسة، وهذا بحد ذاته ردٌ لنصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء: ٦٥.

وقال: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُحَكِّم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة: ٤٤.
وقال: ﴿فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ النساء: ٥٩.

ويوجز الدكتور يوسف القرضاوي أقوال العلماء بقوله: (إن العلماني الذي يرفض مبدأ تحكيم الشريعة من الأساس، ليس له من الإسلام إلا اسمه، وهو مرتد عن الإسلام بيقين، يجب أن يستتاب، وتزاح عنه الشبهة، وتقام عليه الحجة، وإلا حكم القضاء عليه بالردة، وجرّد من انتمائه إلى الإسلام أو سحبت منه الجنسية الإسلامية، وفرق بينه وبين زوجه وولده، وجرّت عليه أحكام المرتدين المارقين، في الحياة وبعد الوفاة) (الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه: ٧٣-٧٤).

أيها الجندي: لقد قالوا لك عندما انتسبت إلى هذه المؤسسة: إن مهمتك حماية حدود الوطن، والمحافظة على استقلال الجزائر وإشاعة الأمن، وحماية المواطنين من الأخطار المحدقة بهم... وها هم اليوم يستخدمونك ضد أئمن وأعز ما تملكه الأمة..

يستخدمونك ضد إخوان وأبناء ابن باديس، والإبراهيمي والعربي التبسي وغيرهم من فحول العلماء الذين حفظ الله بهم الجزائر إسلامية عربية أبية.

هلا تأكدت من كذبهم وخبثهم، وهلا أدركت أن هؤلاء الجنرالات استغلوا الجيش من أجل كم أفواه المواطنين، وقهر الأحرار، واضطهاد خصومهم، وفرض القوانين والأنظمة المستوردة، ومطاردة الذين يطالبون بتحكيم شريعة الله.

أيها الجندي: هل ترضى لنفسك أن تكون سيفاً بيد هؤلاء المارقين المجرمين من الجنرالات يقطعون به رؤوس العلماء والدعاة من أبناء أمتك... وهل يرضيك أن تكون أداة بيد المأفون خالد نزار وأمثاله يستخدمونك من أجل أن تسلخ الجزائر عن انتهائها الإسلامي، وتعود إلى أم الجنرالات فرنسا!!

أيها الجندي: ألا تعلم أنه لا يجوز لمسلم أن يوالي هؤلاء الجنرالات أو يتودد إليهم، أو يطعمهم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ آل عمران: ٢٨.

قال المحققون من المفسرين: (التقية باللسان وليس بالعمل)... وقالوا في تفسير قوله تعالى: (إلا أن تتقوا منهم تقاة): ما لم يهرق دم مسلم، وما لم يستحل ماله، ويخاطب جل وعلا المؤمنين من عباده قائلاً لهم: لا تتخذوا الكفار ظهراً وأنصاراً

توالونهم على دينهم، وتظاهروهم على المسلمين وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء يعني فقد برىء من الله وبرىء الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر.

لقد أهرق الجنرالات دماء المسلمين، واستحلوا مراكز الجبهة الإسلامية وما فيها من متاع وأموال، فكيف تطعمهم، وكيف استجبت لأوامرهم، ووجهت سلاحك إلى صدور الدعاة الأتقياء؟! صدور الدعاة الأتقياء؟!!

هل تدري - أيها الجندي - مصير الذين عذبوا الدعاة والعلماء في مصر؟! لقد سلط الله عليهم أمراضاً فتاكة، وابتلاهم جل وعلا في أموالهم وأبنائهم وأقرب الناس إليهم، وانقلب عليهم أسيادهم الطغاة فأبعدوهم عن وظائفهم، وقطعوا عنهم المرتبات السخية، وزجّوا بهم في السجون التي كانوا يتولون التعذيب فيها، ونشرت فضائحهم على الملأ، وأصبحوا موضع احتقار الناس وازدراءهم... وهذه حالهم في الدنيا فكيف في الآخرة... فهل تريد أيها الجندي مثل هذا المصير؟!!

ألا تتدبر أيها الجندي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بْنَ بَغْيٍ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ١١ ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١١﴾

﴿ آل عمران: ٢١ - ٢٢.﴾

تعال معي - أيها الجندي - لنقف قليلاً عند أقوال المفسرين في شرحهم لمعاني هذه الآية الكريمة:

كان اليهود والنصارى يكفرون بآيات الله، ويقتلون رسل الله الذين كانوا يدعونهم إلى وحدانية الله، وعدم الإشراف به أحداً من خلقه، وينهونهم عما يقتربون من آثام ومعاصي.

وما كان اليهود والنصارى يكتفون بقتل الأنبياء، بل كانوا يقتلون الرجال الصالحين الذين آمنوا بدعوة الأنبياء، وكانوا يأمرؤن الناس بالمعروف وينهونهم عن المنكر، ولهذا فقد استحق اليهود والنصارى غضب الله بكفرهم، وبطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا فلم ينالوا بها محمداً ولا ثناء من الناس لأنهم كانوا على ضلال وباطل.

ولم يرفع الله لهم بها ذكراً، بل لعنهم وهتك أستارهم، وأبدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم على السنة أنبيائه ورسله في كتبه التي أنزلها عليهم، فأبقى لهم ما بقيت الدنيا مذمةً، فذلك حبوطها في الدنيا، وأما في الآخرة فإنه أعد لهم فيها من العقاب ما وصف في كتابه، وأعلم عباده أن أعمالهم تصير بؤراً، لا ثواب لها، لأنها كانت كفرًا بالله، فجزاء أهلها الخلود في الجحيم.

ثم تعال معي - أيها الجندي - لنطبق ما قاله المفسرون على الجنرالات في مجلس الرئاسة وغيره: إن هؤلاء الجنرالات يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس... وها هو التيس المستعار - بو ضياف - يقول:

وماذا يحدث عندما نعتقل عشرة آلاف من جبهة الإنقاذ (الجبهة الإسلامية تؤكد أن المعتقلين أضعاف هذا العدد) ويقول فض الله فاه: سنعدّل الدستور ليتضمن نصاً على منع السماح لأي حزب إذا كان يدعو إلى الدين.

فخلاف الجنرالات ليس مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ، فالخبراء لا يطبقون أن يروا حزباً ينادي بالإسلام - دين الأمة - ولو كان هذا الحزب مهادناً مسالماً لم يصطدم بالجنرالات ولا يفكر بذلك.

وخلاف الجنرالات ليس من أشخاص عباسي مدني وعلي بلحاج وعبد القادر حشاني ورابع كبير، ولهذا فقد استنفروا قواتهم من أجل سحق كل من يرفع لواء الإسلام ولو كان بين هؤلاء الدعاة والعلماء أنبياء لما ترددوا في قتلهم كما فعل اليهود والنصارى من قبل.

أثار خالد نزار عندما كان وزيراً للدفاع في حكومة حمروش قضية المدنيين الملتحين الذين كانوا يعملون في المستشفى العسكري، وقضية الممرضات لأنهن

محبجات، وأصرّ على وجوب حلق لحي هؤلاء المدنيين، أما العسكريون فمن شروط دخولهم سلك العسكرية: حلق لحاهم... ولا ندرى لماذا تتعارض الجندية مع إطلاق اللحي!

أنسي هذا المارق الزنديق أن قادة الفتوح الإسلامية كانوا يعفون لحاهم، وكانوا فقهاء أيضاً، ولم تمنعهم اللحي من فتح مشارق الأرض ومغاربها. وهؤلاء الجنرالات الذين يخلقون لحاهم لم ينتصروا في أي معركة من أعداء بلدانهم وأوطانهم، أليس في هذا دليل على أنهم يتبعون سنن الفرنسيين ويقلدونهم في الصغيرة والكبيرة.

أجل لم ينالوا محمداً في دنياهم... فها هي الأخبار تؤكد انتماءهم للمحافل الماسونية... وها هي الأخبار تؤكد أن حكومتهم أضعف حكومة في تاريخ الجزائر بعد الاستقلال.. وها هي المعلومات الموثقة تشير إلى أن الجزائر تسير نحو الإفلاس في ظل الخطط الاقتصادية التي يتبجح بها (غزالي)، وأصبحت عداوة هذه الحكومة مع الشعب الجزائري كافة، وحتى الأحزاب العلمانية التي لها أنصار وأعوان كحزب جبهة التحرير واتحاد القوى الاشتراكية وغيرهما تقف موقفاً معادياً لحكومة الجنرالات، وهذا ما علمناه من عقوبة الله لهم في الدنيا، فكيف يكون حالهم في الآخرة؟!!

كنت ذات مرة في سفر، وكان صديق لي ينتظري في مطار الدولة العربية التي كنت أقصدها، وكان الصديق يعرف عدداً من ضباط أمن المطار، فجلسنا نرتاح قليلاً في مكثهم، وكان حديث الناس في تلك الفترة عن مجازر مدينة حماة، وعندما علم الضباط أنني من بلاد الشام راحوا يسألونني عن أحداث حماة.

كم عدد القتلى... وهل صحيح ما يتناقله الناس عن الأعمال الوحشية التي استخدمت ضد أهل المدينة... وهل صحيح أن الجند الذين استخدمهم النظام كانوا من أبناء الطائفة النصيرية، ولم يشارك أحد من أبناء السنة في العدوان على المدينة؟! فأجبتهم عن أسئلتهم بما يسره الله لي، ثم قلت لهم: يجب طرح المشكلة من أساسها، فالنصيريون كان لهم دور مهم في مذبح حماة، ولكن الجند الذين ينحدرون من أصول سنية شاركوا في هذه المذبحة، وكانوا ينفذون أوامر قادتهم من غير تردد ولا تدمير، وكانوا في وحشيتهم وشراستهم مثل النصيريين.

والجند الذين ينحدرون من أصول سنية شاركوا في جميع المذابح والمجازر التي سبقت مذبح حماة أو التي تلتها:

لقد شارك المسلمون المغاربة الذين كانوا جنوداً في الجيش الفرنسي الصليبي في المذابح التي ارتكبتها هذا الجيش في بلاد الشام: في بيروت، وميسلون، ودمشق،

وحمص، وحماة، وحلب، وهوران، وشاركوا في المذابح التي ارتكبتها هذا الجيش في الجزائر، وفي كل بلد كانت تستعمره فرنسا.

والمسلمون الذين ينحدرون من أصول سنيّة هم الذين نفذوا مجزرة "ليمان طرّة" في مصر، ومجزرة جزيرة "أبا" في السودان، ومجزرة طرابلس والمخيمات الفلسطينية في لبنان، ومجزرة أيلول في الأردن.

والمسلمون الذين ينحدرون من أصول سنية هم الذين استخدمتهم حكومات البعث في سورية، وحكومة عبد الكريم قاسم ثم حكومات البعث في العراق، ونظام القذافي والنميري وعبد الناصر والسادات، ونظام أمير المؤمنين في الرباط، ونظام بورقيبة، وهواري بومدين، وغيرهم وغيرهم في توجيه أسوأ الضربات للعلماء والدعاة إلى الله في كل صقع م العالم الإسلامي.

المشكلة تكمن في النظام والقوانين العسكرية، فالطغاة يريدون من العسكري ألا يفهم إلا علومهم وقوانينهم، ويحجبون عنه العلوم الإسلامية، والتربية بالقدوة الحسنة، ولسان حالهم يقول: نريد جندياً لا يفرق بين الناقة والجمال، ولهذا ففي بعض البلدان العربية يمنعونه من الصلاة، وفي بعضها يسمحون له على مضض، ولكنه يصنف مع الأصوليين ويحقق معه لأنفه الأسباب لأنه يصلي!! فكيف نتنظر من هذه الجيوش أن تنتصر على اليهود أو على الصليبيين المستعمرين الذين ما زالوا

يستعمروننا استعماراً أبشع من الاستعمار القديم.

والطغاة يربون الجندي على الذل، وإذا مرّ برئيسه يقف أمامه كأنه صنم، ويستطيع الرئيس ولو كان برتبة صغيرة أن يعاقب المرؤوس ويسجنه، ويخصم من راتبه، ويحول بينه وبين الترفيع لرتبة أعلى ولو كان يستحقها... وإذا نافق المرؤوس لرئيسه وتذلل له يحصل على أعلى المراتب، ولو كان ليس أهلاً لذلك.

شجعني على الاستطرداد في الحديث حسن إصغاء الضباط، وشعرت أن كلامي ينفذ إلى قلوبهم دون حواجز، ولعلمهم كانوا لأول مرة يسمعون مثل هذا الحديث.

قلت لهم: أيها الأخوة: لقد أمرنا الله بطاعته، وأمرنا الطاغوت بطاعته، وجيوشنا ورجال أمننا يطيعون الطاغوت ويعصون الله، والواجب يحتم عليهم أن يتمسكوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) (متفق عليه).

وقال صلى الله عليه وسلم: (لا طاعة لمخلوق في معصية الله تبارك وتعالى) (رواه الإمام أحمد في مسنده).

انتبهوا أيها الإخوة إلى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الثاني: لا طاعة لمخلوق (سواء كان هذا المخلوق حاكماً مسلماً يطبق شرع الله أو كان قائد جيش أو

أي مسؤول) في معصية الخالق، فالأصل طاعة الله سبحانه وتعالى، ويجب على كل مسلم معصية الطاغوت ومخالفة أوامره في كل مسألة مخالفة لأوامر الله تعالى.

وانتهبوا إلى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الأول: (.. إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة).

أخبروني عن كتيبة إسلامية صدرت إليها الأوامر بتدمير حي من الأحياء أو مدينة من المدن الإسلامية، فقال أفراد الكتيبة: لن نوجه سلاحنا إلى صدور إخواننا المسلمين، ولا نقول لك إلا ما قاله المؤمنون من قوم فرعون لفرعون: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ طه: ٧٢.

ماذا يحدث لو قال الجندي من الأردنيين والفلسطينيين: لن نحارب إخواننا ولن نكون أداة لحسين أو لعرفات أو لحبش؟!

وماذا يحدث لو قال جند العراق لقائدهم: لن ندمر حلبجة ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وماذا وماذا... سيجد الطاغية (ولا أدري إن كان أصحابي يفهون معنى الطاغية أم لا، وإن كان بعضهم يعرف فلا أظن أنهم يعتقدون أن حاكم بلدهم من هؤلاء الطغاة) نفسه معزولاً، وسوف ترتعد فرائصه، وتخور قواه، ويعلم أنه يخاطب رجلاً وليسوا إمعات، ولن يطلب منهم مرة أخرى هدم مدينة أو حي أو

نخيم، بل سيعرف أنه لا مقام له بين هؤلاء الرجال.

أيها الأخوة: إن الطاعة المطلقة التي لا يقبل القادة العسكريون أقل منها من جندهم كفر مخرج من ملة الإسلام والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ

عَنْ أَمْرِهِ أَنْ نُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴿النور: ٦٣.

والفتنة هنا تعني الشرك. وقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ

دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴿التوبة: ٣١.

وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخَذَ

بِإِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيَجْذُلُواكُمْ وَإِنِ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴿الأنعام: ١٢١

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (من نصّب شخصاً كائناً من كان فوالى

وعادى على موافقته في القول والفعل فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً)

(الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام: ٢/٢٣٩).

وقال ابن القيم رحمه الله في تعريف الطاغوت: (كل ما تجاوز به العبد حده من

معبود أو متبوع أو مطاع).

وبعض هذه الأدلة يذكرها العلماء في صدد ذمهم لتقليد واتباع وطاعة عالم من

علماء المسلمين في كل ما يقوله ويفتي به لأنه بشر يخطئ ويصيب... فكيف إذا كانت

الطاعة المطلقة لزنديق خبيث مجرم يتخذ من نفسه نداً لله تعالى؟!!

أجل ستتكرر أحداث حماة في بلدان أخرى، ما دام الجندي في بلادنا لا يفهم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق... وقد تردون عليّ قائلين: لا نتوقع حدوث مثل هذه الأعمال الهمجية في بلدنا أو في بلدان أخرى.

فأقول: يحدثنا التاريخ أن هؤلاء الحكام الذين تقصدونهم لم يترددوا في قتل أشقائهم وأبناء عموماتهم عندما أدركوا أن أقرباءهم يطمعون في الحكم، ولا يقبلون مبدأ الطاعة المطلقة، وما حدث مرة قد يحدث مرات.

ومن جهة أخرى فالشعوب في هذه البلدان المعنية مستسلمة منقادة، وليسوا كأهل حماة، ولن يتردد الطغاة في نسف الأحياء والمدن وهتك الأعراس إذا رفضت هذه الشعوب مبدأ الطاعة المطلقة، ولا أدري أيها الإخوة لو حدث مثل هذا الأمر في بلدكم ماذا تفعلون: هل تطيعون الله أم تنفذون الأوامر العسكرية وتفعلون كما فعل غيركم؟ ولكن الذي أعلمه أن الغالبية العظمى من الجند ستفعل مثل ما فعله الوحوش في أهل حماة.

كنت أقول هذا القول وكان البلد الذي أقصده آمناً مطمئناً، ومرت السنون، فعصفت رياح سياسية عاتية بأهل هذا البلد، وارتكب الجند أعمالاً بربرية يندى لها

الجبين خزيًا وعاراً^(١).

أعود بعد ذكر هذه القصة إلى مخاطبة الجندي في جيش الجزائر فأقول: أيها الجندي: ألا تشعر بتأنيب ضميرك وأنت تحاصر المساجد. الناس يصلون وأنت واقف كالخنزير لتصوب سلاحك نحو المصلين... قل لي أيها الجندي كيف استبحت حرمت بيوت الله، وروّعت العابدين الساجدين فيها فاعتديت عليهم، واقتدت من تشاء إلى سجون الجزائر؟

ألست أيها الجندي من طبيعة البشر كيف تنتفح لحي العلماء في السجون... وكيف تقلع أظافرهم... بل كيف تجلدهم جلدًا مبرحاً وتركهم في حالة قريبة من الموت، أمن أجل هذا انتسبت إلى الجيش؟

أيها الجندي: نحن نريد لك الخير، وقد صبرنا طويلاً على جرائمك وظلمك، ورسالتنا هذه حجة عليك، فهل تظن أننا كالهنود الحمر وأنت مثل المستعمر الأبيض... هل تعتقد أن الأمور سوف تستمر على هذا المنوال وأنت تقودنا إلى مقاصل الذبح كما تقاد النعاج؟ إن كانت هذه طنونك فقد أخطأت... سندافع عن أنفسنا وأموالنا وأعراضنا وعقيدتنا فإذا متنا دون ذلك فنحن شهداء إن شاء الله، وإن

(١) هذا ما أذكر أنني قلته للضباط، وإن كان هناك اختلاف فهو في ترتيب عرض الأفكار.

مت أنت بعد إقامة الحجّة عليك فأنت من كلاب جهنم وبئس المصير.

يا أهل هذا الجندي هل ترضيكم أفعال ابنكم، لا ظن أن أحداً يريد أن يكون ابنه وحشاً يسفك دماء الأحرار ويستبيح المحرمات، ولا أعتقد أن الأهل والأقرباء يؤيدون جرائم الجنرالات ونظام حكمهم... وإذا كان الأمر كذلك فالأهل والأقرباء مسؤولون عن ابنهم. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ التحريم: ٦.

فإذا عاد الجندي إلى أهله وأقربائه يجب أن يسأله عن عمله، ويطلبوا منه ألا يعتدي على عالم أو داعية، ويبينوا له حرمة العمل في السجون والمعتقلات، فإذا رفض قولهم ودافع عن اقتناعه بما يقترفه من جرائم وجب عليهم أن يتبرأوا منه كما تبرأ نوح عليه السلام من ابنه، وكما تبرأ إبراهيم عليه السلام من أبيه، وليقولوا له: لست منا ولسنا أهلك... اذهب لأبيك خالد نزار ولأهلك من قادة الجيش.

ويا ابن هذا الجندي لماذا لم تعلن براءتك من أبيك الذي يعادي أولياء الله ويوالي أعداءه، ويرفض التراجع عن موقفه وإعلان التوبة إلى الله جل وعلا.. أغرك - أخي الشاب - قول أولي القربى: لا تدنس سمعة العائلة، وتكشف المستور من أسرانا.

دعك - أخي الشاب من هذه الترهات وليكن قدوتك إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيسَاءً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ التوبة: ١١٤.

وقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ الممتحنة: ٤ .

أخي الشاب: سارع إلى مغادرة البيت الذي يتحكم فيه طاغية متجبر، والتحق بركب الدعوة فهم أهلك وعشيرتك وأخوانك.

ويا زوجة هذا الجندي هل يرضيك أن يكون زوجك عدواً لله ولرسوله، ومن الصادين عن سبيله، وهل تقبلين أن يكون زوجك من الذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس. فإن كنت لا تقبلين ذلك فانصحيه لعله يتوب إلى الله... قولي له: إن هؤلاء الجنرالات هم الذين يستحقون أن يوجه السلاح إليهم، فإن وجدت نفسك لست أهلاً لذلك فدع الجندية وابتح عن عمل آخر وسوف يغنيك الله من فضله... فإن أعرض عن نصحك، واستخف بقولك وركب رأسه فاتركه غير مأسوف عليه، وتذكري قوله تعالى: ﴿ أَلْحَيْثُتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ النور: ٢٦، وسوف يبدلك الله زوجاً خيراً منه، وأهم من الزوج الفوز والنجاة عند الله تعالى ﴿ يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ آل عمران: ٣٠.

إن الواجب الشرعي يحتم على الأهل والأقرباء مفاصلة ابنهم المجرم،
وليتذكروا قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ المجادلة: ٢٢.